الشامـــان في النقوش والرسوم الصخرية في جنوب القارة الأفريقية خلال العصر الحجري المتأخر (منذ ٢٥,٠٠٠ ق.م حتى مطلع الألفية الميلادية الأولى) (*)

مركز البحوث والدراسات التاريخية

د/ أسماء عبد العليم على ابراهيم

مدرس تاريخ افريقيا القديم

معهد البحوث والدراسات الأفريقية ودول حوض النيل

جامعة أسوان

الملخص:

اعتنق البوشمن سكان جنوب القارة الأفريقية خلال العصر الحجري المتأخر الشامانية، والشامانية في حد ذاتها ليست عقيدة، بل هي جملة من الممارسات الدينية، قائمة على فكرة حفظ التوازن بين قوى الإنسان الذاتية الداخلية، والقوى الخارجية الروحية المحيطة به. لأن أي خلل بين الإنسان والطبيعة المحيطة، يؤدى إلى مرض الإنسان وضعفه، وقد يصل الأمر إلى موته، وظهر تبعا لذلك الشامان، وهو يمثل الطبيب والساحر، الذي يتفرد بقدرات خاصة، تمكنه من علاج جميع مظاهر الشرور، الذي يعتمد على إعادة التوازن مع القوى الكونية.

يسيطر الشامان على أرواح السلف، ويتواصل مع المعبود، والماورائيات (كما يدعي)، ويؤدى الشامان دوره وهو تحت حالة من الوعى، تعرف باسم النشوة الروحية، أو الموت الطقسى، ويحتاج للوصول لهذه الحالة، أداء طقس راقص، يعرف باسم طقس الحال، وتضحية حيوانية، وتناول جرعات من العسل، ويتطلب الأمر كذلك بعض الصفات الأنثوية.

وقد برع فنان البوشمن خلال العصر الحجرى المتأخر في تصوير الشامان بكافة مراحل تحوله بدقة شديدة، سواء كان تصويرا حقيقيا أو مجازيا، وكذلك الطقوس التي يؤديها، والغرض منها، على أسطح الكهوف والملاجئ الصخرية التي عاش فيها.

الكلمات المفتاحية

الفن الصخري ؛ الشامان ؛ سنجوما ؛ طقس الحال ؛ البوشمن.

(*) مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٣٦)، يناير ٢٠٢٢.

The Shaman In the reliefs and rock Panting in the southern Africa during the Late Stone Age (from 25.000 BC - to The beginning of the first millennium AD

Dr. Asmaa Abdel Alim Ali Ibrahim
Lecturer of ancient African History - Aswan University

Abstract

The Bushmen in southern Africa during the Late Stone Age are believe in Shamanism, shamanism is not a doctrine, but rather a set of religious practices, based on the idea of maintaining a balance between man's internal self-powers and the spiritual, external forces surrounding him. Because any imbalance between man and the surrounding nature leads to human illness and weakness, and the matter may reach his death, accordingly the Shaman appeared, he represents the doctor and the magician, who is unique with special skills, enabling him to treat all manifestations of evils, which depends on restoring balance with cosmic forces .

The shaman controls the spirits of the ancestors, communicates with the deity and the metaphysics (as he claims), the shaman performs his role, under the state of consciousness, known as spiritual ecstasy, or ritual death, and needs to reach the state, Performing a dance ritual, known as Trance Dance, an animal sacrifice, and the intake of doses of honey, and Some female traits.

The Bushman, ware excelled in drowning the shaman in all stages of his transformation with great accuracy, whether real or metaphorical, as well as the rituals he performs, and their purpose, in caves and rock shelters in which They lived

key words

Rock Art ؛ Shaman ؛ Sangoma ؛ Trance Dance ؛ Bushmen

مقدمة

الفن الصخري نوع من التعبير الإبداعي يتجسد في رسوم ونقوش قام بإنجازها الإنسان القديم علي سطوح صخرية داخل الكهوف وخارجها وهو ظاهرة عالمية تكاد تكون موجودة في كل أنحاء العالم وان اختلفت أعمارها ومضامينها من منطقة لأخرى، ويعد المصدر الرئيسي لدراسة تاريخ أفريقيا القديم ولا سيما أفريقيا جنوب الصحراء، وان لم يكن الوحيد في كثير من

المناطق الأفريقية، حيث يمدنا بسجل كامل عن حياة سكان قارة أفريقيا القدامى، والحياة الدينية في جنوب القارة الأفريقية هي واحدة من الموضوعات الهامة، والأكثر تناولا في الفن الصخري.

محنة الإنسان الأفريقي البدائي في مواجهة جموح الطبيعة الهادر وظواهرها الغامضة التي تقهره تارة كالأعاصير والفيضانات والزلازل وغيرها وتؤثر عليه سلباً تارة أخرى حين تدخل في صميم حاجاته الأساسية من الغذاء إذا حلَّ القحط والصيد إذا ما تغير المناخ والأمراض التي تفتك به. ما اضطره إلى أن يبتكر شتى الوسائل والأساليب لاسترضاء القوى المسيطرة على تلك الظواهر الخفية، وظهر تبعا لذلك السحرة ورجال الدين لتأدية الشعائر الدينية، أو القيام بدور الوسيط بين الواقع، وعالم ما وراء الطبيعة.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في كونه تجسيدًا لطبيعة الثقافات القديمة في جنوب القارة الأفريقية، ويبرز طبيعة الحياة الدينية للسكان الأصليين بها خلال العصر الحجري المتأخر، فالشامان يمثل فى معتقدات البوشمن: الطبيب الساحر أو الوسيط الروحاني والذى لديه قدرات خارقة على حد زعمهم في السيطرة على الظواهر الطبيعية وشفاء الأمراض، وغيرها من المهام الدينية والمجتمعية، فهو يمثل الشخصية المحورية التي دارت حولها الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية للقبائل البدائية بجنوب القارة، ولا تزال هذه الشخصية تؤدى هذا الدور المحوري حتى يومنا هذا.

أسباب اختيار الموضوع

١) للأهمية الدينية والاجتماعية التى لعبها الشامان فى حياة البوشمن سكان جنوب القارة الأفريقية خلال العصر الحجري المتأخر.
٢) كثافة تصوير الشامان بكافة مراحله فى الفن الصخري يسهل عملية تصنيفه ودراسته.

محددات البحث

١- المحدد الجغرافي

تشمل الكتلة الهضبية التي تمتد على مساحة جغرافية من نهر الزامبيزي شمالا حتى أقصى جنوب القارة الأفريقية وفى وسطها هضبة منخفضة نسبيا، تنتهى بحافات عالية ضخمة، أكبرها جبال دراكنزبرج *Drakensberg* – أعلى قمة جبلية في أفريقيا – تطل على السهول الساحلية ويضم إقليم جنوب أفريقيا حاليا كلًّا من (ناميبيا، وبتسوانا، وزيمبابوي، وجمهورية جنوب أفريقيا وما تشمله من دولتين حبيستين هما سوازيلاند وليسوتو). (خريطة رقم ١) وقد ساعد تشابه المنتج الثقافي في هذه المنطقة على دراستها كثقافة واحدة.

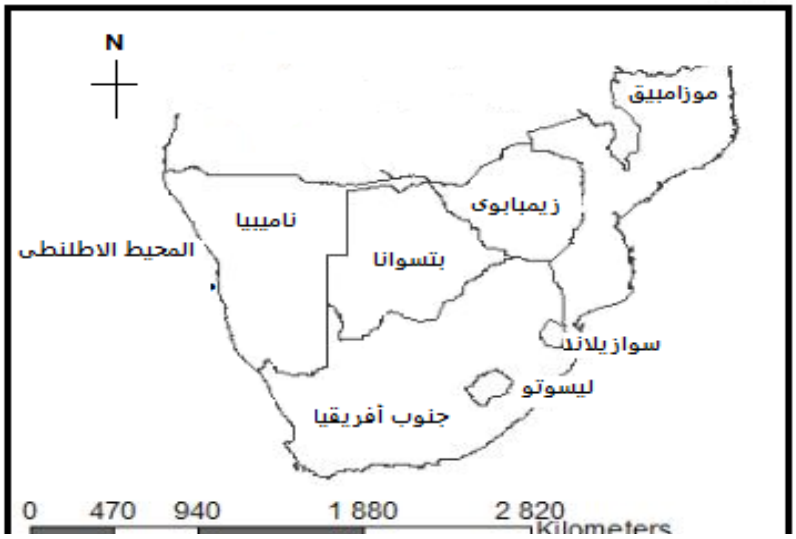

خريطة ١: جنوب قارة أفريقيا

المصدر: Lewis-Williams ، A Dream of Eland: An Unexplored Component of San Shamanism and Rock , World Archaeology, Vol. 19, No. 2, Rock Art (Oct., 1987), p. 166

٢- المحدد الزمنى

تقع الدراسة خلال العصر الحجري المتأخر، فقد استبدل العلماء مصطلح العصر الحجري الحديث بالعصر الحجري المتأخر في جنوب القارة الأفريقية، وذلك لسببين

١) انعدام الأدلة حول انتاج سكان جنوب أفريقيا للمنتجات الثقافية المرتبط بثقافة العصر الحجري الحديث كالزراعة، والرعي، وبناء المساكن، وتشييد القرى، ...الخ، بل هي منتجات ثقافية مرتبطة بتحول المنطقة إلى العصر الحديدي المصاحب لوصول موجات هجرات البانتو Bantu[١]، حيث ان هؤلاء كانوا أكثر تقدما من البوشمن Bushmen [٢] من الناحية الحضارية بل ظل البوشمن يمارسون حياة الصيد والقنص، والجمع والالتقاط، بقول آخر: إن إنتاج الغذاء مرتبط بالعصر الحديدي.

٢) العصر الحجري المتأخر عَمَّر لفترات طويلة جدا، فقد كان مصاحبًا للعصر الحديدي كثقافة موازية له واستمر طوال الفترات الاستعمارية، حتى ان البوشمن الحاليين يمارسون حياتهم طبقا لمفاهيم العصر الحجري المتأخر.

المصدر الأساسي لتحديد العمر الزمنى للدراسة هو الفن الصخري نفسه، حيث يشير أقدم تاريخ بواسطة الكربون المشع للنقوش الصخرية في جنوب القارة الأفريقية إلى ٢٥٠٠٠ سنة تقريبا في كهف أبولو ٢ Apollo II، في ناميبيا وقد أطلق عليه هذا الاسم نسبة الى المركبة الفضائية الهابطة على سطح القمر عام ١٩٦٩، إشارة إلى هذا الحدث التاريخي الهام، واعتبر هذا التاريخ هو بداية للعصر الحجري المتأخر Late Stone Age في جنوب القارة الأفريقية.[٣] وحتى مطلع الالفية الميلادية الأولى التي تمثل بداية وصول هجرات البانتو إلى جنوب القارة الأفريقية، وقد اثرنا توقف الدراسة حتى مطلع الألفية الميلادية الأولى والتي تمثل بداية وصول هجرات البانتو لجنوب القارة الأفريقية وبداية العصر الحديدي المبكر.

منـهج الدراسة

المنهج الوصفي التحليلي.

أهداف الدراسة:

١) تأصيل العقيدة الشامانية في جنوب القارة الأفريقية.

٢) توضيح الدور الديني والمجتمعي لشامان.

٣) التعرف على الآليات التي يستخدمها الشامان من أجل أداء مهامه.

٤) كيفية التعرف على الشامان في النقوش والرسوم الصخرية

أقسام البحث :

أولا: الجذور الأفريقية للعقيدة الشامانية.

ثانيا: تعريف الشامان.

ثالثا: آليات عمل الشامان .

رابعا: تصوير مراحل تحول الشامان (مراحل الهلوسة) في نقوش الرسوم الصخرية.

خامسا: خطواط تحديد الشامان وطقوسه في النقوش والرسوم الصخرية.

انتشر الفن الصخري في كافة أنحاء أفريقيا غير أنه تركز بشكل أساسي في منطقتين رئيستين: شمال القارة وجنوب القارة، وتنوعت الموضوعات التي تناولها الفنان في اللوحات الفنية واختلفت التفسيرات حولها، وأماكن الفن الصخري ظاهرة للعيان منذ القدم، غير أنها بدأت تلفت النظر كمصدر هام من مصادر دراسة تاريخ أفريقيا كان في فترات حديثة.

وقد اختلفت التفسيرات حول الموضوعات التي تناولتها النقوش والرسوم الصخرية بجنوب القارة الأفريقية، وهي متمثلة في الآتي:

١- نظرية سحر الصيد، ومفادها أن الفنان كان يرسم الحيوانات من أجل السيطرة عليها في الواقع، غير أن هذه النظرية تعجز عن تفسير الأشكال الآدمية.

٢- نظرية الفن للذكرى، وتقول بإن الفنان الأفريقي كان يسجل انتصاراته على الطبيعة والحيوانات، وتعجز هذه النظرية أيضا عن تفسير اللوحات المركبة والرمزية.

٣- نظرية الفن من أجل الفن، أي إن الفنان كان يرسم من أجل التنفيس عن رغباته الفنية، وهي نظرية سطحية إلى حد ما، تتجاهل أهمية الفن الصخري الأفريقي كوسيلة هامة في توثيق تاريخ الجماعات البدائية

٤- نظرية التفسير الديني والتي تقول بإن النقوش، والرسوم الصخرية في جنوب القارة الأفريقية، ما هي الا رموزٌ دينية، وبدأت هذه النظرية في الانتشار منذ البدايات الأولى لدراسة الفن الصخري بجنوب القارة، تحديدا عام ١٨٧٣، عندما قام أوربن Joseph Orpen[٤] بتوثيق الروايات الشفوية لأحد أفراد قبائل البوشمن ويدعى كونج Kung الذى أعطى تفسيرات دينية للعديد من الرموز المبهمة في النقوش والرسوم الصخرية ، وتبنى هذه النظرية العديد ومن أشهرهم لويز وليم .Lewis W [٥].

أولا: الجذور الأفريقية للشامانية

ويعتبر لويز وليمز .Lewis W، كمن فك رموز حجر رشيد، حيث أعطى تفسيرات دينية هامة للعديد من النقوش والرسوم الصخرية، التي عجزت النظريات السابقة عن تفسيرها، وكانت الروايات التي قدمها المسؤول الاستعماري جوزيف أوربن في مقال نُشر عام ١٨٧٤ حول محادثاته مع دليله كونج Kung، وكذلك الروايات الشفوية، من أحد السكان الأصليين ويدعى مابوتي ,Mapote . والممارسات الدينية للسكان المحليين المعاصرين له، دليلا استخدمه في هذه التفسيرات.

كما أنه هو من أطلق مصطلح الشامانية لأول مرة على الممارسات الدينية للسكان الأصليين من البوشمن، سواء القدماء، أو المعاصرين له، والشامانية[٦] Shamanic هو مصطلح يستخدم لوصف مجموعة واسعة من الممارسات والمعتقدات، التي يرتبط الكثير منها بالعرافة والتواصل الروحي والسحر، تقوم على الاعتقاد بأن القوى الخارقة للكون لها القدرة على معالجة الأمراض أو توقع المستقبل.

الشامانية في حد ذاتها ليست دينًا بل هي جملة من الاعتقادات

والممارسات المنتشرة في أنحاء مختلفة من العالم منذ أزمنة ما قبل التاريخ. الشامانية بصفة عامة ركيزة أساسية فى الديانات البدائية ولها أمثلة عديدة فى الثقافات التقليدية للجماعات البدائية على مستوى العالم، وقد نشأت من الاعتقاد، والخبرة، من ان المرض هو نتيجة عدم التناغم بين الإنسان والطبيعة والكون. وتستند الشامانية على فرضية أن العالم المرئي مهيمن عليه من قبل قوى غير مرئية لا يمكن الإحساس بها والتي تؤثر على حياة الكائن الحي.(٧)

وتنسب الشامانية عادة إلى أواسط آسيا وذلك على اعتبار أن بها الممارسات الشامانية الأصلية، رغم ذلك فإن الممارسات الشامانية مسجلة في النقوش والرسوم الصخرية بجنوب القارة الأفريقية، وتعود لفترات زمنية قديمة لا تقل عن ٢٥٠٠٠ سنة، (شكل ١)(٨)، وللشامانية تمثيل في الميثولوجيا المصرية القديمة، فعلى سبيل المثال متون الأهرام تمثل نصوصا صوفية تصف تجارب روحية، وتحتوى على حكمة شامانية مستمدة من التجارب الروحية التي قام بها الملك في حياته الدنيا، وهي تجارب تتضمن ارتحالًا محفوفًا بالمخاطر إلى عوالم أخرى موازية ومواجهة ما في أعماق النفس (العقل الباطن) من مخاوف والاتصال بمصدر الوجود وينبوع الخلق. تشكل هذه التجارب الباطنية الأساس الذي قامت عليه المعرفة الروحية في مصر القديمة.(٩)

شكل ١: رقص طقس الحال Trance Dance– كهف الرقصين من شرق باركلى زيمبابوى، ليسوتو يصور نساء جالسات ظهر أغلبهن يحملن أطفالا

المصدر: Edward B.E.: 1999, P.23

ثانيا –تعريف الشامان

الممارسات الشامانية مقصورة فقط على مجموعة من الرجال أو النساء الذين يسمون شامان *Shaman*يتصفون بصفات خارقة، يزعمون أن لديهم القدرة على تشخيص الأمراض وشفاء المرضى، وفي بعض الحالات التسبب بالأذى. كما يعتقد أنهم يتحكمون بالطقس، ويتنبئون بالمستقبل، ويكثر عندهم تفسير الأحلام. وتكتسب هذه القدرات الخارقة عن طريق السيطرة على الأرواح.(١٠)

كلمة شامان أصلها (صامان) وهي كلمة من لغة التونغوس (toungouses)، وهي فرع من الجماعة اللغوية المنغولية المنتشرة في سيبيريا الشرقية إلى حدود الصين. والكلمة مشتقة من (صا) اي المعرفة، وكلمة صامان تعني (الذي يعرف)(١١)

ويقال إن كلمة شامان مأخوذة من الكلمة السنسكريتية صرمنصاص (Sramanas)، وتعني المتعبد الصوفي، وهو اسم يطلق على الكاهن البوذي، ويُعدُّ بتروفيتش أفاكوم P. Avacom رجل الكنيسة الروسي أوَّل من أدخل كلمة "شامان" إلى الغرب؛ فقد تمَّ إبعاده إلى سيبيريا في القرن الثامن عشر ودوَّن في سيرته الذاتيَّة وقائع حفل شامانى عايشه في منفاه. واللفظة ظهرت أيضا لأول مرة في اللغة الفرنسية سنة ١٦٩٩ في كتاب الرحلات المعروف باسم جليد النار Isbrand لمؤلف ادب الرحلات إفرت إسبراند.evert,I (١٢)

أما اللقب الذى يطلقه البوشمن الحاليين على الشامان هو سانجوما Sanguma وتعنى بالعربية (حرفيا) (سهم السان) وهذا المسمى شائع في دول غرب وجنوب القارة(١٣) غير أنه لم يمنحنا الفن الصخري ولا الروايات الشفوية،الاسم الذى كان تطلقه الجماعات البدائية على الشامان في جنوب القارة الأفريقية.(١٤)

يمثل الشامان فى معتقدات البوشمن: الطبيب الساحر أو الوسيط الروحاني ويظهر جليا فى المناظر الصخرية، ويمكن وصف مختلف ممارسته

تحت عنوان الشامانية، وبأنها ممارسات غير عقلانية وهلوسات، ويعتقد الشامان في جنوب القارة الأفريقية بوجود ثلاثة مستويات من العوالم غير المادية المحجوبة هى عوالم الآلهة والشياطين وأرواح السلف.(١٥)

١) المساحات الخالية بين البشر وبين الأشياء، يراها كيانات ذات صفات وخصائص، تماما مثل الأشياء المادية المرئية (فيما يعرف حاليا بعلم الطاقة).
٢) عالم السماء ومن فيها من الأرواح الصالحة والمعبودات.
٣) عالم ما تحت الأرض ويشمل الجحيم والشياطين، والأرواح المعذبة، ومصدر الماء.

وأى خلل في التوازن بين الإنسان وهذه العوالم، ستتسبب بأذى له، ويستخدم الشامانَّ، معارفه لإعادة التوازن بين الإنسان والطبيعة، فهو الوحيد القادر على التواصل معها. ويتميّز الشامان عن سائر الناس من البوشمن القدماء بروح غالباً ما تكون حاملة لسمات أنثويَّة وهو شيء يمكن تمييزه بسهولة في النقوش والرسوم الصخرية (شكل ٢)، فواحدة من العلامات المميزة للشامان في الفن الصخرى هو ازدواجية النوع .(١٦)

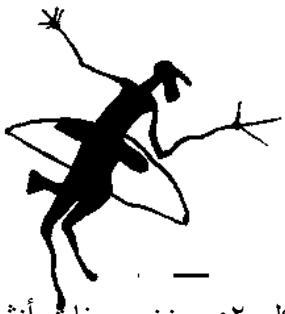

شكل ٢: معزز بصفات أنثوية

المصدر: Dowson T.A.: 1988, OP.Cit, P. 119

فعندما سأل جوزيف أوربن Joseph Orpen– خلال رحلته في أحد كهوف دراكنزبرج بجنوب أفريقيا عام ١٨٧٣–مرشده من البوشمن كونج Kung

ماذا يمثل اللوحة الصخرية للأشخاص الثلاثة ذوي رؤوس الظباء Antelope، أجاب كونج أنهم "الرجال الذين لقوا حتفهم والآن يعيشون في الأنهار".[١٧] فهم أرواح أجداده على حد قوله، وانهم –أي البوشمن – يحترمون أرواح السلف، وأن عليهم استرضاءها، لأن غضبها يؤثر بشكل سلبى عليهم، وأن رجل الدين فقط الذى بإمكانه التواصل معهم. هذا البيان من كونج هو أهم مفتاح لفهم دور الشامان الديني خلال العصر الحجري المتأخر في الجنوب الأفريقي (شكل ٣)[١٨]

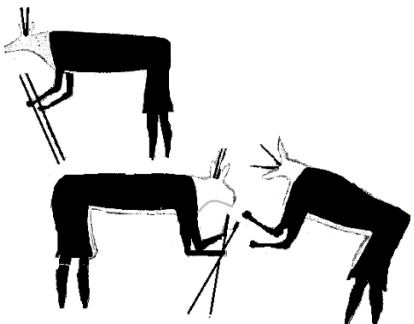

شكل : ٣: تصوير لأرواح السلف

المصدر: Challis, W: 2005, p. 14

أرواح السلف تلعب دورًا مهمًّا في حياة البوشمن الدينية. يمكن للشامان التعاون والسيطرة على الأرواح لصالح المجتمع. والأرواح تكون إما جيدة أو سيئة. فالشامان هو: الرجل أو المرأة الذي يقيم علاقة متميِّزة مع أرواح السلف. ويقوم دوره على التوسّط مع روح حيوانيّة بهدف الحصول على مساعدتها من أجل جعل الصيد مثمراً، وعلاج الأمراض، وجعل الأرض خصبة، وإرسال المطر[١٩]، ودفع الحظوظ السيئة، والعثور على شيء مفقود أو قيام العرافة".[٢٠]

ثالثا – آليات عمل الشامان

ويحتاج الشامان من أجل أن يؤدى مهامه الدينية مجموعة من الآليات

حتى يصل الى الهلوسة؛ لكى يتواصل مع العالم غير المادي ومتمثلة في: طقس الحال، والتضحية الحيوانية، والعسل، والصفات الأنثوية، ودماء الحيض.

١- طقس الحال (الغيبوبة) Trance danse

الشامان يؤدى مهامه أثناء وجوده في حالة من الهلوسة تُعرف باسم الموت الطقسي أو الغيبوبة الروحية، وفيها تفارق روحه جسده (مؤقتا) على حد زعمهم لتتصل بالماورائيات، ولكي يصل لهذه الحالة يحتاج إلى طقس راقص يسمى بطقس الحال Trance Dance.

وفى هذا الطقس يصطف الرجال والنساء في شكل دائرة أو صفوف، (أشكال ١، ٤) ويقومون جميعا بالرقص والتصفيق والغناء، متدرج الحدة، فكلما زادت حدة الرقص والتصفيق والغناء من المشاركين، زاد تفاعل الشامان فتزداد حدة رقصه، ويشتد غزارة عرقه حتى يصاب بالإرهاق الشديد والإغماء، وعندها يقال إنه وصل لمرحلة الموت الطقسي، أو الغيبوبة الروحية، وهذا الطقس بشكل عام ، تتم أحداثه طوال فترة الليل، ولا يتوقف الرقص والغناء والتصفيق، حتى يصل الشامان الى الغيبوبة، وهذا الطقس قد يستغرق فترات طويلة جدا تصل الى الساعات الأولى من الصباح.[٢١]

شكل ٤: طقس الحال Trance dance

المصدر : Dowson, T.A.: 1989, P91

وحالة النشوة الروحية (أو الموت الطقسى – أو الغيبوبة) التي تصور في النقوش والرسوم الصخرية بنزيف الأنف والعرق بغزارة، (شكل ٥) تعمل

علي زيادة طاقه الشامان وقدرته على شفاء المرضى واستجلاب الشر أو الخير أو منعهما، وهو يقترب في شكله من طقس الزار في الموروث الشعبى المصرى.[٢٢]

ويعتمد الشامان في هذه المرحلة وضعيات أزرع خلفية معينة (شكل ٥) ويفسر هذا المشهد بأن الشامان يطلب من الخالق القوه قبل دخوله الغيبوبة،[٢٣] والجدير بالذكر ان البوشمن كانوا يؤمنون بكيان إلهى واحد، يدعى كاجين Kaggen، ويؤمنون أن له زوجة وهى ملكة النحل، وأبناء، وتبين أن هناك تشابهًا ملحوظًا بين هذه الرقصات في المناظر الصخرية وبين رقصات الشفاء التى لا تزال تمارس في جنوب أفريقيا حتى اليوم.

شكل ٥: طقس الحال Trance dance من شرق باركلى، ليسوتو

المصدر : Dowson, T.A.: 1989, , P91

٢- التضحية الحيوانية

هناك اعتقاد بأن التضحية الحيوانية ببقرة العلند المقدسة لدى قبائل البوشمن تمنح الشامان القوة والمقدرة على مواصلة طقس الحال كى يصل إلى المرحلة المنشودة، وهى مرحلة الموت الطقسي، [٢٤] وكذلك تمنحه الحماية من الموت الحقيقي، فإن الحيوان هو الذى يموت موتة حقيقية بدلا عنه، ففي اثناء أداء طقس الحال يتم طعن حيوان العلند بالسهام المسمومة (شكل ٦)، فيتشارك كل من الشامان والحيوان الإرهاق الشديد المصاحب لطقس الحال وفى النهاية يصاب الشامان بفقدان الوعي والانهيار، ويموت الحيوان[٢٥].

شكل ٦: تضحية حيوانية بالعلند أثناء أداء طقس شامانى

المصدر: Lewis-Williams: 1987, pp. 165-177

وهناك العديد من الطقوس الشامانية، التى تحتاج إلى تضحية حيوانية، أبرزها طقس الاستسقاء، ويتم تحدي نوع الحيوان من قبل الشامان حيث يتعرف عليه أثناء مرحلة الغيوبة، وعندها يأمر بالتضحية بهذا الحيوان، واخطر أنواع المطر هو المرتبط بالتضحية بالثيران،[٢٦] وذلك بدفعها من فوق مرتفع (شكل ٧)، وذلك لاستجاب أمطار رعدية غزيرة، وكذلك التضحية بالثعابين الضخمة (شكل ٨) والتي تكلفهم على الأغلب أرواحهم من أجل السيطرة عليهم.[٢٧]

شكل ٧: طقس استسقاء أمطار الثور

المصدر: Williams, L.D. & Dowson, T.A,: 1990: P.8

شكل ٨: طقس استسقاء أمطار الثعابيين غالبا تظهر الثعابين في طقس الاستسقاء بصورة ضخمة وأسطورية وغالبا ما يكون الرسم مركبة، موقع كوينستون Queenstown

المصدر : Mallen Lara: 2005), p. 7

٣- العسل

بزيادة حدة إيقاع الرقص والغناء أثناء طقس الحال يصاب المشاركون في الطقس بنوبة من الإرهاق الشديد الذى يحتاج معه تناول الشامان لجرعات من العسل، لتمده بالطاقة اللازمة لاستكمال الطقس، وصُورت حاجة الشامان للعسل برسم شهير يعرف باسم الرجل الفيل (شكل ٩).

شكل ٩: الرجل الفيل : وهو تصوير الشامان وهو يمتص العسل من النحل لاستكمال طقس الحال

المصدر: Hampson J . &, Challi W.: 2002, p. 17

كما تم أداء طقس الحال بطريقة أخرى وذلك عند ظهور تجمعات

النحل كما في رسم كهف بشرق مقاطعة كيب (شكل ١٠) يوضح ممارسة طقس الحال عند ظهور النحل صف لأشخاص يرقصون أحدهم ينزف من الأنف وفوقهم سرب من النحل ويرمز هذا للقوه، وما زال البعض من قبائل البوشمن ترغب في الرقص، عندما يحتشد النحل، وإلى الوقت الحالي أنهم يعتقدون أنهم يمكنهم أن يستفيدوا من القوه المنبعثه من النحل (٢٨).

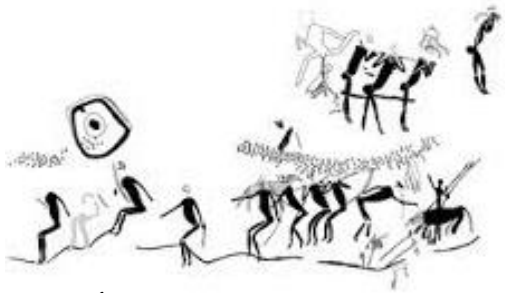

شكل ١٠: طقس حال يؤدى بالقرب من أسراب النحل

المصدر: Dowson, T.A.: 1994, P. 339

٤- صفات الأنثوية ودماء الحيض.

تعزز الصفات الأنثوية من قدرات الشامان الرجل الروحية، وعلينا في البداية أن نفرق بين الشامان المرأة وبين الشامان الرجل المعزز بسمات انثوية، ومن أجل ذلك يجيب أن نحدد جنس الأنثى في النقوش والرسوم الصخرية، فالشامانية فى جنوب قارة أفريقيا خلال العصر الحجري المتأخر، لم تك قاصرة على الرجال، بل نجد فى كثير من المناظر الصخرية النساء (بدون صفات ذكورية) هى من تؤدى الطقوس الشامانية، حتى إن الاعتقاد الغالب ان الشامانية كانت في أغلب الأحيان قاصرة على المرأة.

وتحديد جنس المرأة في النقوش والرسوم الصخرية ليست بالأمر الشاق على الأغلب، فيمكن التعرف عليها من خلال الصفات التشريحية التي حرص الفنان الأفريقي على تصويرها بكل الدقة والمتمثلة في : بروز الأثداء، تضخم الأرداف وهى صفة تشريحية تتسم بها سيدات البوشمن (شكل ١١)[٢٩]،

والارتباط بالأطفال وقد لا يختلف اثنان على ترجيح الأشكال الآدمية المرتبطة بالأطفال الصغار لأمهات، مثال فى كهف الرقصين فى دراكنز برج (شكل ١) لسيدات جالسات ضمن إطار طقس الحال تحمل على ظهورها أطفالًا، ومن السمات الأخرى المحددة لجنس المرأة والولادة والحمل، والأعضاء التناسلية.(٣٠)

ولتميز جنس المرأة الشامان عن الرجل في النقوش والرسوم الصخرية نجملها فيما يلى:

العلامات المميزة للأنثى	اللوحة	العلامات المميزة للانثى	اللوحة
الثدى		**الارداف**	
الارتباط بالأطفال أثناء طقس الحال		**البدانة**	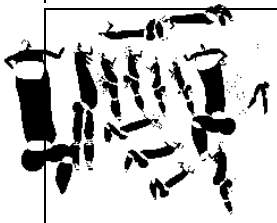
الأعضاء التناسلية		**الحيض**	

شكل ١١ : سيدة من البوشمن تم التعرف على جنسها من تضخم الأرداف وبروز الأثداء

المصدر: Dowson, T.A.: 1994, p. 341

الشامان الرجل يصور بسمات أنثوية صريحة، جنبا إلى جنب مع الصفات الذكورية، ولعل من أبرز هذه الرسوم لوحة (شكل ١٢) بمنطقة ماكلير Maclear يظهر فيها الشامان بحجم كبير يتوسط مجموعة من النساء يصفقن، وهذا الشامان له أثداء أنثوية بارزة، وعضو ذكرى واضح ويقف بالقرب من مجموعة من عصى الحفر Digging Sticks وهى أداة صيد مرتبطة بالنساء،[٣١] ومن أحد التفسيرات التي طرحت حول لوحة موكب السيدة البيضاء The White Lady اللوحة الصخرية الأشهر بناميبيا [٣٢](شكل ١٣)، بأنها شامان رجل معزز بصفات أنثوية.[٣٣]

شكل ١٢: شامان مزدوج الجنس

المصدر Dowson, T.A.: 1994, p. 341 ([٣٤])

شكل ١٣: السيدة الرئيسية بموكب السيدة البيضاء، برادنبرج – ناميبيا

المصدر: Breuil , H.A.: 1948, P.3

٥- دماء الحيض.

يظهر فى مجموعة من اللوحات التي تصور الشامانات النسائية، النمط التالى:

أ- الأذرع مرفوعة لأعلى.

ب- تلوح عاليا ب (القوس أو العصا أو أداة على شكل هلال).

ج- فتح الحوض.

د- انبعاثات على شكل خطوط من الأعضاء التناسلية .

هـ- جزع منتفخ مع وجود أشكال خطوط عريضة تخرج من الأعضاء الأنثوية.

يرجح ان هذه الخطوط والأشياء العريضة هى تدفقات دماء الحيض وأنها تعتبر طقوسا شامانية، وهى إشارات ترمز للطاقة القوية، تعبر عنها التدفقات التناسلية، خلال فترة الحيض التى هى رمز للإناث، وقد تم معرفة ذلك من خلال المعتقدات الدينية الحالية التى تفسر بأن دم الحيض يشير إلى القوة والخير للمجتمع ويستخدم فى الممارسات الشامانية (شكل ١٤)[٣٥]

شكل ١٣: الإلهة الأم، ملجأ الصخرى Willcox من كوازولوناتال فى دراكنزبرج (solomon A.: 1996, PP. 26-41)

ونجد فى بعض اللوحات مثل لوحة من كهف Sorcerers فى دراكنز برج تدفقات دماء الحيض من الأعضاء الأنثوية، والتى تصور كخطوط حمراء، تلمس السهام، أو قريبة منها، وتمتد أيضا باتجاه الظباء قد تكون تمثل طقسًا دينيًا تمارسه المرأة الشامان لتعزيز غنائم الصيد لجماعات البوشمن، وهو طقس تمارسه المرأة الشامان أثناء فترة الحيض (شكل ١٥) فيرجح أن المرأة الشامان كانت تمارس مهام طقسها الدينية لتسهيل عملية الصيد أثناء فترة الحيض (شكل ١٦) التى تمنحها القوة اللازمة لأداء هذا الطقس أو تستخدم وضعية فتح البرجل لتسهيل المهام القتالية (أشكال ١٧، ١٨) (٣٦)

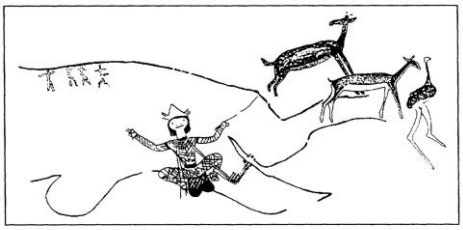

Fig. 1. Sorcerer's Rock, KwaZulu/Natal Drakensberg.

شكل١٥: أنثى ذات ابعث دماء الحيض التى تلمس الظباء والأسهم كطقس تمارسه المرأة الشامان لتسهيل عملية الصيد، كهف سورسرس Sorcerer`s في كوازولوناتال في دراكنزبرج، جمهورية جنوب أفريقيا.

المصدر: Solomon , A: 1996, P. 33

شكل١٦: سيدات ذات انبعاث دماء الحيض، ملجأ ماتوبوس، زيمبابوى

المصدر: Power, C. & Watts, I 1997, pp. 537-60

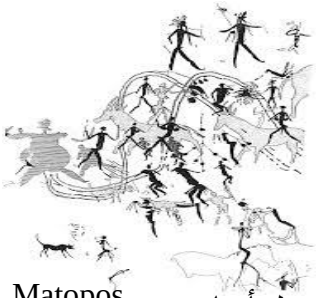

شكل١٧: ملجأ ماتوبوس Matopos زيمبابوي

المصدر: Power, C. & Watts, I 1997, pp. 537-60

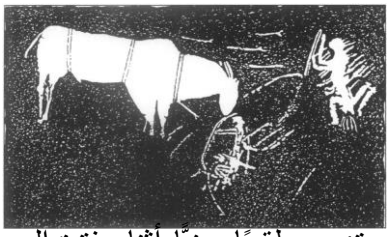

شكل ١٨: امرأة شامان تؤدى طقسًا دينيًّا أثناء فترة الحيض، شمال كيب تاون – جمهورية جنوب أفريقيا

المصدر: Solomon, A.: 1996, P. 34

طقس بلوغ الفتاة الذى يتم لتزويجها يبدأ مع بداية أول فترة حيض تحدث لها في حياتها، وينتهى بزواجها بنهاية هذه الفترة من شخص بالغ

حديثا، فمع أول حيض للفتاة، يتم عزلها في كوخ خاص، حتى تنتهي فترة الحيض، يصبح لديها قوه وسلطات خارقة مماثله تماما لقوة الشامان، فلديها بعض خصائص القوه السحرية، بحكم حالتها القوية الممثلة في الحيض الأول. وخلال فترة العزلة لا ينبغي عليها أن تلمس الرجال، وأدوات الصيد وذلك لاعتقادهم بأنها تحدث ضرراً لهم أثناء فترة أول حيض لها، وتظهر الفتاة في النقوش والرسوم الصخرية وترتدي رداء طويلاً وممددة داخل كوخ وحولها نساء، على الأغلب أنهن من كبار السن اللواتي يلقن الفتاة الإرشادات كما يحدث حاليا (شكل ١٩) [٣٧]

شكل ١٩: طقس بلوغ الفتاة منظر على صخرة فولتون في جبال دراكنزبرج

المصدر: Power, C. & Watts, I 1997, pp. 541

وطوال فترة عزلة الفتاة، يقوم العديد من الأفراد بأداء رقصات خارج كوخ العزلة، لجلب الحظ الجيد في الصيد ويعتقدون أن هذا الطقس له آثار مفيدة كالخصوبة والصيد الناجح .

رابعا – تصوير مراحل تحول الشامان (مراحل الهلوسة) في نقوش الرسوم الصخرية

اختلف تصوير الشامان في النقوش والرسوم الصخرية طبقا لمرحلة الهلوسة التي يمر بها الشامان، وربما كان الشامان نفسه وهو من نفذ النقوش

والرسوم الصخرية لتوصيف حالته، والدلالة على قوته فى والانتقال إلى العالم الآخر الخفي، وتحقيق مآربه بسهولة ويسر[٣٨]، وفى معتقدات البوشمن يمر الشامان خلال طقس الحال، بعدة مراحل للوصول إلى مرحلة النشوة الروحية أو الهلوسة (الحال)، والتى يصل فيها الشامان لدرجة الاتصال بالعالم غير المادى، ويمكن تقسيم هذه المراحل إلى أربع مراحل نفذت كل منها بوضوح فى المناظر الصخرية[٣٩] :

ويمكن توضيحها في الرسم التالى:

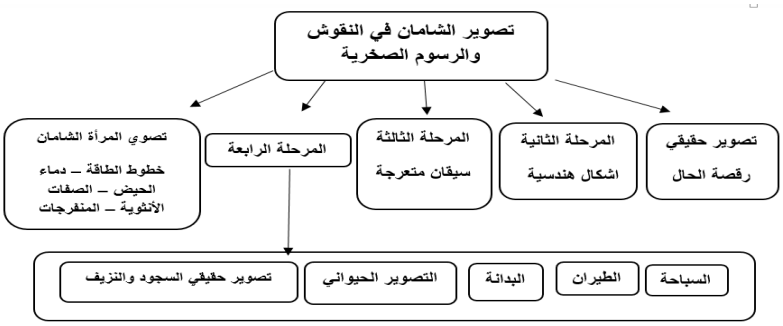

أ- **المرحلة الاولى** : تم تصويرها تصويرا حقيقيا وهى تمثل بدايات طقس الحال والتى تبدأ برقص الشامان على إيقاعات موسيقية يزداد فيها سرعة التنفس الشامان ويبدأ يشعر بالألم والصداع (أشكال ١، ٢٠)[٤٠].

:

شكل ٢٠: طقس الحال

المصدر: Dowson T.A.: 1994, P.338

ب - **المرحلة الثانية:** تزداد حالة اللاوعى لديه مع زياده سرعة الرقص ويزداد التعرق لديه، ويبدأ عقله فى رسم رموز هلوسة، وتظهر هذه المرحلة بالأشكال الهندسية، والنقاط والخطوط المتعرجة، وهذه المرحلة هي المرتبطة بتناول جرعات العسل (أشكال ٩، ١٠، ٢١)[٤١]

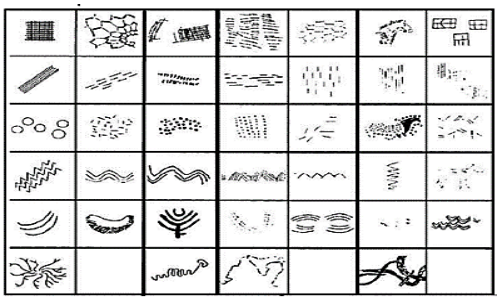

شكل ٢١: أشكال مجمعة لهلوسة شامانية المرحلة الثانية

المصدر المصدر: Sam Challis 401 .p.2008, p , .

جـ – المرحلة الثالثة: يمكن تميز تصوير الشامان في هذه المرحلة بسهولة عندما نشاهد مناظر صخرية لأشكال آدمية لهم سيقان متعرجة، (شكل ٢٢) فحينما طلب من أحد الشامانات الحاليين وصف نفسه في هذه المرحلة قال: "إن سيقانه تتلاشى" ثم صور ذاته فرسم خطًّا متعرجًّا وقال: بإن ذلك هو عموده الفقري ثم رسم سبعة تعرجات منفصلة قال: بإنها كانت بقية جسده كما (شكل ٢٣) [٤٢]

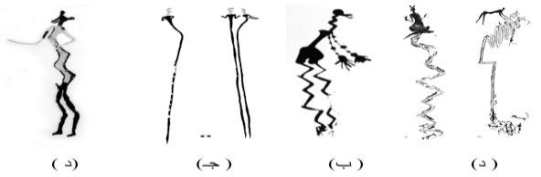

شكل ٢٢: أشكال مجمعة المرحلة الثالثة

المصدر : Williams, L.: 1986, P. 179; Williams, L.: 1987, P. 11;

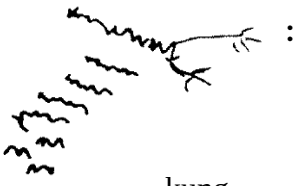

شكل ٢٣: رسم kung لنفسه في مرحلة الهلوسة

المصدر : Williams, J.D.: 1987, P.10

د- **المرحلة الرابعة والأخيرة:** هى المرحلة المنشودة التي يعقد طقس الحال من أجلها فهى الموت الطقسى لشامان وقد صورت هذه المرحلة بعدة طرق:

أولا – تصوير حقيقى: وفيها يصور الشامان أثناء أداء اللحظات الأخيرة من طقس الحال فيصور راكعا ونزيف من الأنف (أشكال ٥، ٢٤، ٢٥).

شكل ٢٤: وضعية الركوع لشامان في المرحلة الرابعة من كهف العملاق

المصدر: Williams, L.: 1981 P.30

شكل ٢٥: تصوير حقيقى لشامان في المرحلة الرابعة

المصدر: Williams, J.D.: 1987, P.15

ثانيا –التصوير الرمزي : ترجح الباحثة أنه يختلف هذا التصوير طبقا لمستوى العالم غير المادي الذى سيتصل به الشامان. من أجل أداء مهمته المقدسة ويمكن اجمالها فيما يلى:

١) الطيران.
٢) الضخامة والبدانة.
٣) السباحة.
٤) التصوير الحيوانى.

١-**الطيران:** حيث يصور الشامان بأجنحة واضحة وصريحة، وتلاحظ الباحثة إنه مرتبط بطقوس إسقاط المطر سواء أمطار الثعابين أو الثيران ومن أشهر هذه الرسوم رسم بشرق أورانج فري سثيت (شكل ٢٧) يعج بالأشكال المميزة التى توحي بعالم غامض ويشير إلى هلوسة المرحلة الرابعة، وكان الحيوان المرسوم في الشكل، هو ثور المطر الأسود، وقد أحاطت الشامانات الطائرة [٤٣] وشكل آخر يظهر الشامانات الطائرة كطبقة مرسومة على لوحة صخرية أقدم لحيوان العلند .(شكل ٢٨)

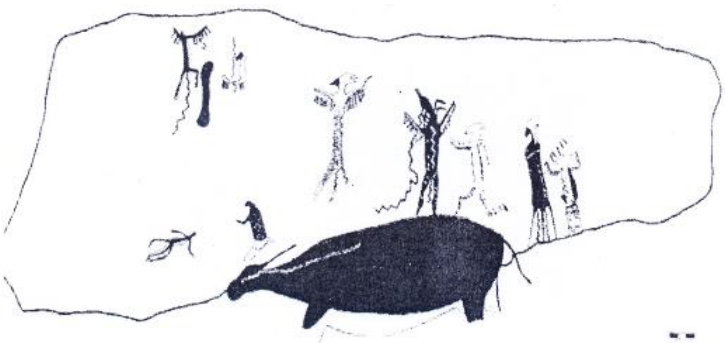

شكل ٢٦: شامان في المرحلة الرابعة – طيران، شرق اورنج فري ستيت نسخة Stow لوحة صخرية محفوظة في المتحف الوطنى في Bloemfontein

المصدر: Williams, L.: 1987, P.11

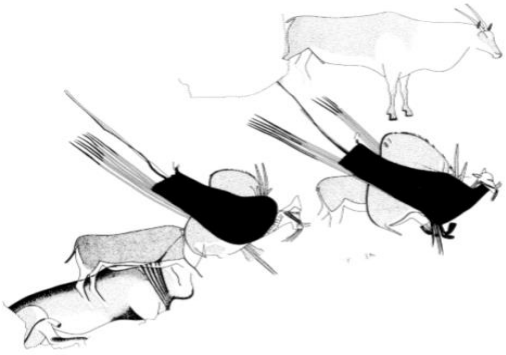

شكل ٢٧ شامان في المرحلة الرابعة – طيران

المصدر: Williams, L.: 1987 , OP.CIT, P172

٢- الضخامة والبدانة

بوصول الشامان إلى مرحلة الغيبوبة ويصور بحجم ضخم مبالغ فيه مقارنة بالعناصر المحيطة به (شكل ٢٨)، كما نرى رسومًا لسيدات بدينات رجحت أشكالهن على أنها شامانات امرأة (شكل ٢٩)[٤٤]، وتلاحظ الباحثة أن تصوير الشامان الضخم مرتبط في الغالب بأشكال رجحت بأنها مقابر، ولعل هذه الضخامة متصلة برحلة روح الشامان بعالم ما تحت الأرض .

شكل ٢٨: شامان عملاق ذو تفاصيل معقدة فوق مشهد مركب يرجح بأنه مقابر(٤٥)

المصدر Williams, L.: 2004, P.211

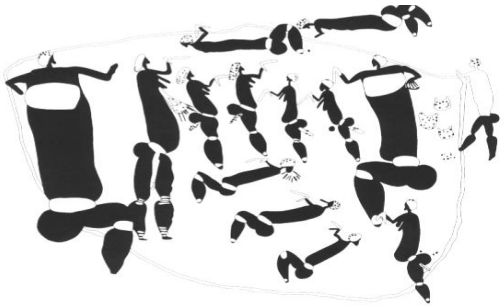

شكل ٢٩: شامانات بدينات

Dowson, T.A: 2007, P. 60

٣- السباحة :

يصور الشامان كأنه سمك يسبح فى الماء حيث تختفى السيقان ويظهر مكانها ذيل سمكة، (شكل ٣٠) للوصول إلى عالم الأرواح[٤٦]، وقد تظهر الشامانات تسبح، ومنها أيضا تصوير الشامان بشكل سرطان البحر، وهذا طبقا لرواية شفوية معاصرة تعتبر سرطان البحر وسيطًا بين الشامان والماورائيات (شكل ٣١).

المصدر : Hollmann, J.: P.91

شكل ٣١ : شامان في شكل سرطان البحر – ملجأ صخرى في هاريسميث

المصدر: Dowson, T.: 1988, P. 54

٤- التصوير الحيوانى:

يعد التصوير الحيوانى من أهم طرق وأكثرها شيوعا، في التعرف على الشامان في النقوش والرسوم الصخرية بجنوب القارة الأفريقية. وأغلب هذا التصوير وطيد الصلة بالعلند Eland هذا الحيوان المقدس لدى قبائل البوشمن، فيظهر الشامان برأس حيوان العلند (شكل ٣٢)، ويصور كعلند بقوائم آدمية، والعكس يصور بهيئة آدمية بأرجل العلند، (شكل ٣٣)[٤٧]، أو أشكال نصفية فيما يعرف باسم Therianthropes (شكل ٣٤) ويصعب التكهن بالصلة التي تربط التصوير الحيوانى لشامان وبين الغرض من الطقس الذى يؤديه، غير أنه من المرجح ان هذا التصوير نابع من الأهمية الدينية المقدسة، والاقتصادية كذلك التي يتبوأها الحيوان في مجتمع البوشمن، الذى يعتمد في حياته بشكل كلى على الصيد.

فأساطير البوشمن تعطى قداسة للحيوانات ولا سيما العلند فتقول الأسطورة: إن العلند Eland من أوائل الحيوانات التي ابتكرها معبودهم Kaggen كاجين، فقد أنجبته له زوجته كوتى Coti وكان المفضل لديه، وقام كاجين بإخفائه بالقرب من جرف منعزل للسماح له بالنمو. وفي أحد الأيام، خرج ولداه، كوجاز Cogaz وجيوي Gewi، للصيد. لم يعرفا حب والدهما للعلند، فقتلوه فغضب كاجين، وطلب منهما أن يضعا دماء العلند في إناء ورجه. فتناثر الدم من القدر على الأرض وتحول إلى ثعابين (كأول ظهور لها في الحياة). فاستاء كاجين جدا، الأمر الذي جعل ابنه جيوى ينفعل ويسكب الدم من القدر فتحول إلى ظبي kongoni من نوع hartebeests، غير أن كاجين ظل غاضبا، اخيرًا قامت زوجته كوتي بتنظيف القدر وملئه بدماء العلند، مع خلطه بجزء من دهن قلبها. وقامت برجه، ورش كاجين الخليط على الأرض. فحول إلى قطيع كبير من العلند. فكان خلط دم العلند بدهن قلب كوتى هي الطريقة التي أعطى بها كاجين اللحوم لشعبه ليصطادوا ويأكلوا. يعزو البوشمن وحشية العلند إلى حقيقة أن أبناء كاجين قتلوها، قبل أن تصبح جاهزة للصيد، مما أفسدها، بل ان

الأساطير تستطرد في تناول أهمية الحيوانات في مجتمع جنوب القارة الأفريقية فتجعلها هذه المرة صهر لمعبودهم كاجين حيث تزوجت ابنته من حيوان النمس meerkats بل إن كوتى نفسها هي ربة النحل، أما كاجين تعنى في لغة البوشمن السرعوف Mantis .

شكل ٣٢ : شامان بتصوير حيوانى يمثل ثيران العلند بأرجل آدمية

المصدر: Williams, L.D. & Dowson, T.A,: 1990, p.11

شكل : ٣٣: أشكال آدمية بقوائم حيوانية، جنوب شرق الأورانج فري ستيت

المصدر : Dowson T.A.: 1994, p.340

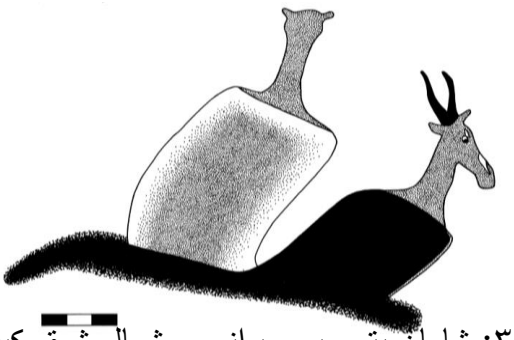

شكل ٣٤: شامان بتصوير حيوانى – شمال شرق كيب تاون

المصدر : Williams, L.D. & Dowson, T.A,: 1990, p. 7

كما صور الشامان (المؤذى) الذى يجلب الشر من العالم غير المادى للعالم المادى بشكل النمر أو الأسد الذى يهجم على أفراد القبيلة (شكل ٣٧) [٤٨]

شكل ٣٥ : شامان عدوانى يتحول إلى نمر شرس، يتبع شامانيين آخرين لديهم سمات العلند، مأوى كوازولوناتال الصخرى

المصدر : Williams, L.: 1985 , P.57

وهناك تصوير خاص بالسيدات وهو نمط المنفرجات، وذوات خطوط الطاقة، ودماء الحيض. كما ذكرنا من قبل.

خامسا : خطوات تحديد الشامان وطقوسه في النقوش والرسوم الصخرية

من العرض السابق لتصوير الشامان يمكن تحديده بسهولة في النقوش والرسوم الصخرية فنحتاج في ذلك اتباع الخطوات التالية :-

١) تصميم **بطاقة تفصيلية** للرسم أو النقش المراد التعرف على الشامان

فيه وهذه البطاقة تصمم طبقا لاحتياجات الباحث، مع مراعاة أن تحتوى على عدد العناصر الادمية وتحديد النوع فيها من حيث كونها ذكر أم أنثى، عدد العناصر الحيوانية ونوعها إن أمكن، الرموز والأشكال الهندسية، تحديد طبقات الرسم لأنه أحيانا ما كان يتم تنفيذ رسم أو نقش فوق نقوش أو رسوم أقدم، وعلى سبيل المثال يقترح هذه البطاقة:

العناصر الآدمية		العناصر الحيوانية		الأشكال الهندسية	طبقات		الوصف
النوع		طبيعية	أسطورية		الأقدم	الأحدث	
ذكر	أنثى						

والغرض من هذه البطاقة تحليل اللوحة وفض التداخل بين عناصرها لتسهيل مهمة التعرف على الشامان، والطقس المقام، والغرض منه.[٤٩]

٢) تحديد الشامان بغض النظر عن مرحلة الهلوسة التي يمر بها يكون بطريقتين:[٥٠]

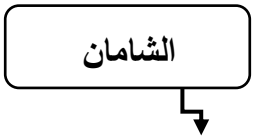

٣) التعرف على الشخص الذى يؤدى له الطقس العلاجى: من اللافت للنظر أن هذا الشخص المريض لا يشترك في الطقس، بل يتم تصويره بكونه شخصًا جالسًا في وضعيه قرفصاء ويتوسط اللوحة غالبا، على سبيل المثال طقس بلوغ الفتاة التي يكتفى دورها على البقاء في كوخ العزلة (راجع أشكال ٤، ٥، ١٩).

٤) ولتعرف على الغرض من الطقس يستلزم معرفة الطقوس الدينية نفسها،

والعناصر المستخدمة فيها، وقد عرضنا لطقس بلوغ الفتاة، وطقس إسقاط المطر، وهناك العديد من الطقوس الأخرى التي يسهل التعرف عليها في اللوحات الشامانية، نذكر منها على سبيل المثال ولا الحصر التالى ([٥١]):

الطقس	بلوغ الفتاة	اسقاط المطر	القفز فوق العلند	الخصوبة	تسهيل الصيد
عناصر الطقس	شكل دائرى يمثل الكوخ داخله فتاة مغطاه – أو داخله رسم جنسى – ويقوم مجموعة بالرقص حول الكوخ	استدراج الثيران أو مجنحون حول ثيران– ثعابين عملاقة	الوقوف فوق ظهر العلند أو أسفله في وضعية استحالية وهو طقس يؤدى لبلوغ الفتى وإعطائه الترخيص لصيد العلند	ويمثل في وضعية السيدات المنفرجات (فتح الحوض)	تلامس انبعاثات دماء الحيض لأدوات الصيد

والجدير بالذكر أنه قد يظهر في اللوحة الواحدة أكثر من شامان، يؤدى الطقوس، وتبقى لروايات الشفوية وخاصة التي تم تسجيلها في فترات مبكرة، ومقارنة اللوحات بالطقوس والعقائد لجماعات الصيادين البوشمن، دور مهم في فهم العديد من اللوحات المركبة.

الخاتمة

الفن الصخري في جنوب القارة الأفريقية لم يكن مجرد تلوين وحفر الجدران من أجل التسلية في أوقات الخمول، ولكنه تصور فني حقيقي للأفكار

التي حركت عقل البوشمن بشكل كبير، هو أكثر بكثير من مجرد زخرفة أو انعكاسات للاهتمامات اليومية، بل يمثل في كثير من الأحيان معتقداته الدينية.

الشامان في مجتمع البوشمن يعد مؤسسة اجتماعية، وليس بين المؤسسات الاجتماعية مؤسسة تضاهي سلطان الشامان في سيطرته على الأفراد والجماعات، والغرض الرئيسي للشامان هو المعالجة. من خلال سيطرته على الأرواح التي يعمل معها، ويستطيع (كما يدعي) التواصل مع الموتى. ومن ضمن مهامه اداء الطقوس وإعطاء القوة والبركة للصيادين، وحمايتهم من الأخطار ولعل هدا الدور كان له من الأهمية الكبرى فى مجتمع يعتمد بشكل رئيسى على الصيد لتوفير احتياجاته الغدائية، وارتبطت حياتهم اليومية بشكل كامل به.

ومن هذا العرض يتضح المكانة القوية التى كان يتمتع بها الشامان، فهو المنظم للحياة الاجتماعية والدينية على حد سواء، وهو يؤدى دوره بجملة من المعتقدات، والطقوس الدينية التي تعرف بالشامانية، ورغم انتسابها لشمال آسيا إلا أن النقوش والرسوم الصخرية في جنوب القارة الأفريقية وغيرها من أنحاء القارة، ترجعها لنحو ٢٥ ألف سنة مضت عمر الفن الصخرى نفسه في جنوب قارة أفريقيا.

يؤدى الشامان دوره وهو تحت تأثير حالة من الوعى تسمى النشوى الروحية، وهى حالة من الهلوسة العقلية، يصل إليها من خلال مجموعة من الآليات أبرزها طقس الحال، الذى يقوم فيه بالتضحية الحيوانية .

تعددت الطرق في تصوير الشامان ويمكن تصنيفها إلى تصوير حقيقي متمثل في تصوير أشخاص راكعة أو ساجدة تنزف من الأنف، مع عرق غزير، وتصور أحيانا بالضخامة مقارنة بالعناصر المصاحبة، والبدانة، وهناك تصوير

مرتبط بالسيدات أبرزها انبعاثات دماء الحيض، وتؤدى الطقوس بالقرب من اسراب النحل حيث يحتاج الشامان في تناول جرعات من العسل ليتمكن من مواصلة الطقس الطويل المرهق. ويضاف لها أوضاع استحالية كوضعية الركوع والأذرع لأعلى.

إن التصوير المجازي: يتمثل في تدعيم العناصر الآدمية بعناصر حيوانية لخلق كائن أسطوري يعبر عن هلوسة الشامان، وهذا التصوير هو الأكثر شيوعا في تصوير الشامان، بالإضافة للأشكال الهندسية المبهمة أحيانا والمختلطة أحيانا أخرى.

الهوامش:

١) **البانتو** : مصطلح لغوى حمل مع الوقت مضامين عرقية، ويقصد بها جنس الزنج الصريح الذين هاجروا منتصف الالفية الأخيرة قبل الميلاد تقريبا من موطنهم الأصلي بين نيجيريا والكاميرون إلى كافة أنحاء أفريقيا جنوب الصحراء متخذين في هجراتهم معابر محددة، وموجات متلاحقة ومثل كل معبر وكل موجة عرق معين.

٢) البوشمن : تعنى رجال الأحراش، وهم من جنس الخوسيان، وكانوا يمثلوا سكان افريقيا جنوب الصحراء خلال العصور الحجرية، واضطروا للتقهقر للجنوب تحت ضغط هجرات البانتو، إلى أن انحصر وجودهم في جيوب صغيرة نهاية الالفية الميلادية الأولى في جمهورية جنوب أفريقيا، ولا يزالون يمارسون حياتهم طبقا لمفاهيم العصر الحجري المتأخر، وقد فشلت جهود جمهورية جنوب أفريقيا في دمجهم في المجتمع، ويعتبرون من أهم عناصر الجذب السياحي بها، البوشمن أصحاب قامة أقرب للقصر (١٦٠ للذكور – ١٤٥ للنساء في المتوسط)، ملامحهم تبدو آسيوية من العين الضيقة والأجفان السميكة، والأنف الافطس، والبشرة التي تميل للصفرة، ولعل من أبرز البوشمن المناضل الأفريقي نيلسون مانديلا، ويتميز نساؤهم بتضخم الأرداف والمؤخرة. ويعتمد اقتصادهم المعيشى على الصيد في المقام الأول

3) Deacon.J.: South African Rock Art , Evoluo Nary Anthropology , P.48

٤) **جوزيف ميلرد أورين** (٥ نوفمبر ١٨٢٨ – ١٧ ديسمبر ١٩٢٣) كان مديرًا استعماريًا للإمبراطورية البريطانية في جنوب إفريقيا، وكذلك عالم أنثروبولوجيا واهتم بثقافات السكان الأصليين في الجنوب الأفريقي.، ووثق روايات شفوية عن الفن الصخرى من السكان المحليين، ولا سيما من خادمه كونج الذى استخدمه كدليل لزيارته لكهوف دراكنزبرج وقد أعطى كونج تفسيرات دينية عديدة للوحات الفنية، نشرها أورين تباعا في مجلة كيب الشهرية . Cape Town Monthly Magazine وتعد كتاباته توثيقًا مهمًا للروايات الشفوية للسكان الأصليين حول الفن الصخرى.

٥) جيمس ديفيد لويس وليامز J. David Lewis ،Williams (مواليد ١٩٣٤) عالم آثار من جنوب أفريقيا. اشتهر بأبحاثه حول الفن الصخري في جنوب أفريقيا لجماعات (البوشمن)، والذي يمكن القول أنه وجد "حجر رشيد". وهو المؤسس والمدير السابق لمعهد أبحاث الفنون الصخرية، بجامعة اليونيسا ***UNISA*** وهو حاليًا أستاذ فخري في علم الآثار المعرفي في جامعة ويتواترسراند (WITS). تم التعرف على لويس وليامز

من قبل المؤسسة الوطنية للبحوث (NRF) في جنوب إفريقيا كباحث دولي رائد، مع تصنيف A1.

٦) منظمة الصحة العالمية اعترفت عام ١٩٨٠ بالشامانية كوسيلة لعالج الأمراض النفسية بمستوى علاج الطب التقليدي .

7) Edward B. Estwood, red lines and Arrows: Attributes os Supernatural Potency in San Rock Art of the Northern Province , South Africa and South – Western Zimbabwe, SAAB, VOL.54, No.169, 1999, P.23

8) Dowson, T.A.: 2007 , Debating Shamanism African rock art " Time to move on" , South African Archaeology Bulletin , Vol.62, NO. 185, PP. 49-61

٩) جيرمى ندلر: الجذور الشامانية لمتون الأهرام (التراث الروحى لمصر القديمة)، ترجمة صفاء محمد، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٠.

10) Dowson T.A.: Reading Art، Writing History: Rock Art and Social Change in Southern Africa: World Archaeology، Vol. 25, No. 3, Reading Art (Feb., 1994), pp. 332-345

١١) دورتيه، ج.ف :٢٠١١، معجم العلوم الإنسانيّة، ترجمة جورج كتورة، ط.٢، بيروت، كلمة ومجد المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع. ص ٤٩٧.

١٢) نفسه، نفس الصفحة.

١٣) يتحدث البوشمن لغة الطقطقة Click وهى عبارة عن مقاطع صوتية مركبة ولا تنتمى لأية أسرة لغوية .

14) Dowson, T.A.: 1988, Revelations of Religious Reality: The Individual in San Rock Art , World Archaeology, Vol. 20, No. 1, Archaeology in Africa , pp. 116-128; .

تشير التقديرات عام ٢٠٢٠ إلى أن هناك ما يصل إلى ٢٠٠٠٠٠ شامان في جمهورية جنوب أفريقيا وحدها، مقارنة بـ ٢٥٠٠٠ طبيب بشرى، تتم استشارة الشامان من قبل ما يقرب من ٦٠٪ من سكان جنوب أفريقيا .

15) Hoerr, L.: Drama in Shaman Exorcism, The Journal of American Folklore, Vol. 66, No. 260 (Apr. - Jun., 1953), pp. 95-122

16)Dowson T.A.: 1988, OP.Cit, P. 119

17)Peter Mitchell and Sam Challis 2008 , A 'first' glimpse into the Maloti Mountains: the diary of James Murray Grant's expedition of 1873–74 , Southern African Humanities, Vol. 20 , PP. 399–461

18) Challis, W: 2005, 'The Men with Rhebok's Heads; They Tame Elands and Snakes': Incorporating the Rhebok Antelope in the Understanding of Southern

African Rock Art Further Approaches to Southern African Rock , Vol. 9, pp. 11-20

١٩) ينتشر في شرق أفريقيا رجل دين مهمته فقط إسقاط المطر.

20) Ibid , P. 15

21) Williams, L.: 1981 , the red Line Southern San Notions and Rock Painting of Supernatural Potency , The South African Archeology Bulletin, VOL. 36, NO.13 3 P.30

٢٢) ملاحظات الباحثة.

23) Dowson, T.A.: 1989, Dots And Dashes: Cracking the Entopic in Bushman Rock Paintings , Southren African Rock Art, VOL.6, P91

24) Williams, L.: A Dream of Eland: An Unexplored Component of San Shamanism and Rock Art ,World Archaeology, Vol. 19, No. 2, Rock Art (Oct., 1987), pp. 165-177

25) Ibid, P. 167

26) Dowson T.A.:1988, the Archaeology of rock art, Rain Bushman Belief, politics and History; the rock art of rain-making in the south eastern mountains southern Africa, Cambridge , Cambridge University Press, P. 73

27) Mallen Lara:2005, Linking Sex, Species and a Supernatural Snake at Lab X Rock Art Site , Further Approaches to Southern African Rock Art , VOL.9, pp. 3-10

28) Hampson J . &, Challi W.: 2002, Rock Art of Bongani Mountain Lodge and Its Environs, Mpumalanga Province, South Africa: An Introduction to Problems of Southern African Rock-Art Regions , Geoffrey Blundell and Conraad De Rosner Source: The South African Archaeological Bulletin, Vol. 57, No. 175 , pp. 15-30

29) Royden Yates, Jo Golson and Martin Hall, 1985, Trance Performance: The Rock Art of Boontjieskloof, P. 79

٣٠) حندوقة إبراهيم فرج: الرسوم الصخرية في أفريقيا: دراسة في المنهجية والتصنيف، القاهرة، ٢٠١٠، ص ص ٨– ٢٠

31) Dowson, T.A.: 1994, OP.CIT, pp. 332-345

٣٢) لوحة موكب السيدة البيضاء: The White Ladyهي لوحة من الفن صخرية نفذت في مأوى صخرى Rock Shelter يعرف باسم Maack Shelter في ناميبيا، وتعد اللوحة واحدة من أشهر لوحات الفن الصخرى في جنوب قارة أفريقيا .ككل وتجذب المئات من السياح تم اكتشافها في يناير ١٩١٨، وقد أثار هذه اللوحة ضجة كبيرة بسبب الصفات المصرية التي تحملها السيدة الرئيسية في اللوحة، ولا سيما نمط الشعر، ولون البشرة، وحملها زهرة اللوتس.

33) Breuil , H.A.: 1948, The White Lady of Brandberg, South-West Africa, Her Companions and Her Guards, The South African Archaeological Bulletin, Vol. 3, No. 9 (Mar., 1948), pp. 2-11

٣٤) تم تكبير واقتصاص شكل الشامان مزدوج النوع من قبل الباحثة لتوضيح المعنى

35) solomon A.: Mythic Women : A Response to Humphreys , SAAB, VOL. 51,NO.163, 1996, PP. 26-41(

36) Power, C. & Watts, I 1997, The Woman with the Zebra`s Penis: Gender, Mutability and Perormance, , Journal of the Royal Anthropological Institute, Vol. 3, No. 3 pp. 537-60
37) Ibid, P. 541
38 (Woodhouse, H. C. 1968, The Medikane Rock-Paintings: Sorcerers or Hunters?, The South African Archaeological Bulletin, Vol. 23, No. 90 (Aug., 1968), pp. 37-39 (3
39) Ibid, P. 38
40) Williams, L. :, 1987, OP.CIT, pp. 165-177
41) Williams, L.: 1987 , OP.CIT, P.30
42) Williams, L.: 1987 , Reality and non reality in San rock art rurrent Anthropology, Vol.27, NO.2, PP. 171-178
43) Williams, L.: 1987 OP.CIT, P.11
44) Dowson, T.A.: 2007: OP.CIT, pp. 49-61
٤٥) يعد تصوير المقابر من الرسوم النادرة للغاية في الفن الصخرى الأفريقي.
46) Hollmann, J.: Using Behavioral Postures And Morphology to Hunter- Gatherer Rock Painting of Therianthropes in the identify Western and Eastern Cape Provinces, South Africa, The South African Archeology Bulletin, VOL. 60, NO.182, P.91
47) Dowson T.A.: 1994, OP.CIT, pp. 332-345
٤٨) لاحظ دور المعبودة سخمت في العقيدة المصرية لدى قدماء المصريين .
Williams, L.D. & Dowson, T.A,: 1990: Through the Veil: San Rock Paintings and the Rock Face ,The South African Archaeological Bulletin, Vol. 45, No. 151 (Jun., 1990), pp. 5-16
٤٩) إعداد الباحثة.
٥٠) إعداد الباحثة.
٥١) إعداد الباحثة.

المراجـــــــع

أولا المراجع العربية

١) جيرمى ندلر: ٢٠٠٤، الجذور الشامانية لمتون الأهرام (التراث الروحي لمصر القديمة)، ترجمة صفاء محمد، القاهرة

٢) حندوقة إبراهيم فرج: ٢٠١٠، الرسوم الصخرية في أفريقيا: دراسة في المنهجية والتصنيف، القاهرة، ٢٠١٠

٣) دورتيه، ج.ف:٢٠١١، معجم العلوم الإنسانيّة، ترجمة جورج كتورة، ط.٢، بيروت، كلمة ومجد المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع ص٤٩٧

2 nd :Books

Dowson T.A.:1988, the Archaeology of rock art, Rain Bushman Belief, politics and History; the rock art of rain-making in the south eastern mountains southern Africa, Cambridge , Cambridge University Press,

3 rd Periodicals

1) Dowson T.A: 1988, Revelations of Religious Reality: The Individual in San Rock Art , World Archaeology, Vol. 20, No. 1, Archaeology in Africa , pp. 116-128

2) :_____1989, Dots And Dashes: Cracking the Entopic in Bushman Rock Paintings , Southren African Rock Art, VOL.6, P91

3) _____: 1994, Reading Art, Writing History: Rock Art and Social Change in Southern Africa: World Archaeology, Vol. 25, No. 3, Reading Art, pp. 332-345

4) _____: 2007 , Debating Shamanism African rock art " Time to move on" , South African Archaeology Bulletin , Vol.62, NO. 185, PP. 49-61

5) Breuil , H.A.: 1948, The White Lady of Brandberg, South-West Africa, Her Companions and Her Guards, The South African Archaeological Bulletin, Vol. 3, No. 9, pp. 2-11

6) Challis, W: 2005, 'The Men with Rhebok's Heads; They Tame Elands and Snakes': Incorporating the Rhebok Antelope in the

Understanding of Southern African Rock Art Further Approaches to Southern African Rock , Vol. 9, pp. 11-20.

7) Deacon.J.: South African Rock Art , Evoluo Nary Anthropology
8) Edward B. Estwood, red lines and Arrows: Attributes os Supernatural Potency in San Rock Art of the Northern Province , South Africa and South – Western Zimbabwe, SAAB, VOL.54, No.169, 1999, P.23
9) Hampson J . &, Challi W.: 2002, Rock Art of Bongani Mountain Lodge and Its Environs, Mpumalanga Province, South Africa: An Introduction to Problems of Southern African Rock-Art Regions , Geoffrey Blundell and Conraad De Rosner Source: The South African Archaeological Bulletin, Vol. 57, No. 175 , pp. 15-30
10) Hoerr, L.: Drama in Shaman Exorcism, The Journal of American Folklore, Vol. 66, No. 260 (Apr. - Jun., 1953), pp. 95-122
11) Hollmann, J.: Using Behavioral Postures And Morphology to Hunter- Gatherer Rock Painting of Therianthropes in the identify Western and Eastern Cape Provinces, South Africa, The South African Archeology Bulletin, VOL. 60, NO.182, P.91
12) Mallen Lara:2005, Linking Sex, Species and a Supernatural Snake at Lab X Rock Art Site , Further Approaches to Southern African Rock Art , VOL.9, pp. 3-10
13) Peter Mitchell and Sam Challis 2008 , A ‘first’ glimpse into the Maloti Mountains: the diary of James Murray Grant’s expedition of 1873–74 , Southern African Humanities, Vol. 20 , PP. 399–461
14) Power, C. & Watts, I 1997, The Woman with the Zebra`s Penis: Gender, Mutability and Perormance, , Journal of the Royal Anthropological Institute, Vol. 3, No. 3 pp. 537-60
15) Royden Yates, Jo Golson and Martin Hall, 1985, Trance Performance: The Rock Art of Boontjieskloof, P. 79
16) Skotnes (ed.), Miscast Negotiating the Presence o f the Khoisan (Cape Town: University of Cape Town Press, 1996): 271-280.

17) solomon A.: Mythic Women : A Response to Humphreys , SAAB, VOL. 51,NO.163, 1996, PP. 26-41(

18) Williams Lewis: A Dream of Eland: An Unexplored Component of San Shamanism and Rock Art ,World Archaeology, Vol. 19, No. 2, Rock Art (Oct., 1987), pp. 165-177

19) _____: 1981 , the red Line Southern San Notions and Rock Painting of Supernatural Potency , The South African Archeology Bulletin, VOL. 36, NO.13 3 P.30

20) _____: 1987(a) , A Dream of Eland Component of San Shamanism and Rock Art , World Archaeology , VOL. 19, NO. 2, P.11

21) _____: 1987(b) , Reality and non reality in San rock art rurrent Anthropology, Vol.27, NO.2, PP. 171-178

22) Williams, L.D. & Dowson, T.A,: 1990: Through the Veil: San Rock Paintings and the Rock Face ,The South African Archaeological Bulletin, Vol. 45, No. 151 (Jun., 1990), pp. 5-16

23) Woodhouse, H. C. 1968, The Medikane Rock-Paintings: Sorcerers or Hunters?, The South African Archaeological Bulletin, Vol. 23, No. 90 (Aug., 1968), pp. 37-39 (3